Insyirah: Jurnal Ilmu Bahasa Arab dan Studi Islam
Vol. 7, No. 1, June 2024, p. 1-29
DOI: 10.26555/insyirah.v7i1.8350

أثر مناهج البحث اللغوي في دراسة نظام اللغات: دراسة نقدية

The Impact of Linguistic Research Methodologies on Studying Languages' System: A Critical Study

[1]Salem Abood Mubarak Ghanem
[1]s.ghanem@hu.edu.ye
[1]Hadhramout University, Yemen

ARTICLE INFO

Article history
Received: 13 June 2023
Revised: 24 February 2024
Accepted: 9 May 2024

Keywords
Research methodologies, Language studies, Critical study.

*Corresponding Author

ABSTRACT

The research aims to identify linguistic research methods and their impact on the study of the language system by examining the great service these methods have provided to scientific research in the linguistic aspect. In addition its contribution, revealing the system of languages, their general and specific features, and their linguistic characteristics at their various levels. The multiplicity and diversity of linguistic research methods has had a great impact in enriching linguistic studies, and among the most prominent of those methods that the research will examine are: the historical method, the comparative method, the descriptive method, the generative-transformative method, the normative method, and the contrastive method. Each of these methods has its own characteristics, its own fundamentals and its procedures, so the research aimed at identifying them, demonstrating their impact on the study of the language system, and their importance in rooting them, and defining their relationships and families to which they belong according to the characteristics, features, interests, and fields of each of those methods.

This is an open-access article under the CC–BY-SA license.

1. مقدمة:

تُدرس اللغة في إطار علم اللغة؛ بوصفها نظامًا من العلامات والرموز، ويهدف إلى فهم طبيعتها وخصائصها وتطورها. يعتمد علم اللغة على مجموعة من المناهج البحثية التي تختلف في أهدافها وأدواتها وأساليبها.

وتُعَدُّ مناهج البحث اللغوي حاجة ملحة لدى الباحثين ولا سيما الأكاديميون منهم على مختلف مشاربهم واختصاصاتهم، فلا يخلو أيُّ بحثٍ لغوي من اتخاذ منهجٍ، يختاره للدراسة والبحث، مع تعدد تلك المناهج؛ ليفيد منها في تحليله اللغوي، بما يتناسب مع الموضوع الذي يبحث فيه، وربما يقتضي البحث أكثر من منهجٍ بحسب طبيعة الظاهرة اللغوية التي يدرسها، مما يؤكد أهمية دراسة هذه المناهج، ودورها في دراسة اللغة وأنظمتها المختلفة.

وعلى مرّ العصور تكونت للبحث اللغوي مجموعة من المناهج البحثية، مثّلت في مجموعها دراسات تفصيلية لقضايا اللغات واللهجات بمختلف أنواعها، فاستطاع كلُّ منهجٍ منها أنْ يسد حاجةً يتطلّبها الواقع اللغوي، والظواهر المدروسة، فكشف بعضها عن أسرار النظام اللغوي، ورصد بعضها الآخر حركة التغييرات الحاصلة في بعض العناصر اللغوية عبر العصور، في حين عَمِلَ منهجٌ آخر على التأصيل اللغوي، وتصنيف اللغات إلى أسرٍ، ومجموعات، واتخذ منهجٌ آخر غايةَ وضع الضوابط والقوانين، التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة؛ ليُسهم في تعلّم اللغة وتعليمها، وبذلك يخدم المنهجُ اللغةَ، وتخدم اللغةُ المجتمع، (حسان، 2001، ص13).

يستهدف البحث التعرف إلى مناهج البحث اللغوي وأثرها في دراسة نظام اللغات من خلال الوقوف على ما قدمته تلك المناهج من خدمةٍ جليلةٍ للبحث العلمي في الجانب اللغوي؛ وما أسهمت به -في مجموعها- في الكشف عن نظام اللغات، وسماتها العامة والخاصة، وخصائصها اللسانية بمستوياتها المختلفة.

لقد كان لتعدد مناهج البحث اللغوي وتنوعها، عظيم الأثر في إثراء تناول اللغويين لدراستهم اللغوية، ومن أبرز تلك المناهج التي سوف يتناولها البحث بالدراسة: المنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي، والمنهج التوليدي التحويلي، والمنهج المعياري، والمنهج التقابلي. ولكلِّ منهجٍ منها سماته، وأسسه الخاصة في بنائه، وإجراءاته، لذا رامَ البحثُ الوقوفَ عليها، وبيان أثرها في دراسة نظام اللغات، وأهميتها في التأصيل لها، وتحديد علاقاتها، وعائلاتها التي تنتمي إليها بحسب خصائص وسمات واهتمامات ومجالات كلِّ منهج من تلك المناهج.

جاء اختياري لهذا الموضوع لأهميته في الدرس اللغوي، ولأنّه يُمثّل دراسة نقدية لمناهج البحث اللغوي وأثرها في دراسة نظام اللغات؛ ليتجلى من خلاله إسهامات المناهج اللغوية في فهم اللغات

وخصائصها. إضافة إلى كون موضوع البحث من الموضوعات الحديثة نسبيًا التي تربط بين خصائص المنهج اللغوي، وأثره في دراسة نظام اللغات.

تكمن أهمية موضوع البحث في تناوله لأثر مناهج البحث اللغوي من زاوية مهمة في الدرس اللغوي، وهي نظام اللغات الذي تعتمد عليه اللغة في تحديد خصائصها، وسماتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى، وهو موضوع واسع، وشامل، يشمل عددًا من الجوانب والمسائل المهمة.

لقد جاء البحث؛ ليعطي إجاباتٍ عن تساؤلاتٍ متعددة، منها:

أ. هل مثلت مناهج البحث اللغوي إضاءة مهمة في دارسة نظام اللغات واللهجات، والأسر اللغوية التي تنتمي إليها؟

ب. كيف أسهمت بعض مناهج البحث اللغوي في تفسير طبيعة اللغة ونظامها، وخصائصها، وأسرار نموها، وتطورها وقوانينه المختلفة؟

ت. هل توجد علاقة بين مجمل المناهج اللغوية؟ وما نوع هذه العلاقة؟

ث. كيف أسهمت مناهج البحث اللغوي في استجلاء العلاقات التاريخية بين اللغات في إطار الأسرة اللغوية الواحدة؟

ج. كيف تم توظيف النتائج التي يتوصل إليها الباحث اللغوي في مجال الدرس اللساني التطبيقي؟

ح. كيف أسهمت تلك المناهج اللغوية في الكشف عن نظام اللغة من خلال تحديد الوحدات اللغوية الأساسية لكل لغة، ودراسة العلاقات بين هذه الوحدات؟

بحسب استقراء الباحث، وتتبع الكثير من المراجع، وبالبحث في محرك الباحث العلمي، وغيره من محركات البحث الإلكترونية، لم أجد دراسة أفردت هذا الموضوع ببحثٍ مستقل، فدرست أثر مناهج البحث اللغوي وإسهاماتها في دراسة نظام اللغات، ودورها في تحديد ماهيتها، وأصولها التي تنتمي إليها.

وإنما وُجِدتْ دراساتٌ متعددة، تناولتْ موضوع مناهج البحث اللغوي ومدارسها المختلفة: تاريخها، ومذاهبها، وأنواعها، وخصائصها، وسماتها، على سبيل الاستقراء والعرض، والتقرير، من غير أن تتناول أثرها في دراسة نظام اللغات، وعلاقتها المحورية به، ودورها في التأصيل له. ومن تلك الدراسات:

1. دراسة أمجيسر، سوسن سودي (2022):

نُشرت الدراسة في مجلة الجامعة العراقية، الجامعة العراقية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2(56)، 229 - 240، بعنوان: ((مناهج البحث اللغوي، والدرس النحوي الحديث)). واستهدفت الدراسة التعرف إلى دور النحو العربي، وأهميته عند القدامى والمحدثين، وربط النحو العربي بالدرس اللساني الحديث. وعرضت الدراسة أثر النحو الوصفي، والمنهج التوليدي، في النحو العربي التقليدي على نحو ما ذكر عن المدرسة النحوية الكوفية بأنها كانت أقرب إلى المنهج الوصفي لعزوفها عن التعليل، والتأويلات. وأن الوصفيين قاموا ببيان دراساتهم على أساس الأشكال المنطوقة، والمكتوبة من دون الجري وراء الفلسفة، والمنطق الأرسطي من التعليل، والتقدير. أما استعمال المنهج التحويلي التوليدي فقد أبان عن أهمية العمل النحوي من خلال نظرية الربط، والعامل التي نادى بها تشومسكي.

2. دراسة مداني أحمد، (2021م):

بعنوان: ((الدرس اللّغوي عند علماء اللسان العربي من منظور مناهج البحث اللغوي الحديث - دراسة مقارنة في المفاهيم والتطبيقات))، نُشرت في مجلة أبعاد، جامعة وهران (2)، محمد بن أحمد، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية. 8 (2)، 89 - 104. تسعى هذه الدراسة إلى استكناه جهود العلماء في دراسة اللغة، ومعرفة مدى التزامهم بمنهج معين في التأسيس لعلوم اللغة المختلفة، وتحليل المادة اللغوية، وذلك من خلال مقارنة أعمالهم، بما أفرزه علم اللغة الحديث من مناهج حديثة لدراسة اللغة، ودفعًا لما يتوهمه بعض الباحثين أن الدرس اللغوي

القديم عند العرب، على الرغم من كثافة المعلومة اللغوية، والدقة العلمية في الطرح والاستنتاج، إلا أنه ينعدم فيه اتباع منهج معين، ولبيان ذلك والوقوف عليه يجب استقراء آثار علماء اللسان العربي واستنطاق محتويات مؤلفاتهم، رغبة في الوقوف على حقائق تثبت تطبيق علماء العربية قديمًا للمناهج أو تنفيه عنهم.

3. دراسة بوهني، نصر الدين الشيخ (2018):

بعنوان: ((إطلالة نقدية في نشأة البحث اللغوي عند العرب))، نُشرت في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 20،(4)، 195 – 234، عرضت الدراسة لمحة عن نشأة البحث اللغوي عند العرب، في إطلالة نقدية تشير إلى العوامل التي ساعدت في عملية النشأة، والمنهج الذي اعتمده الأقدمون في جمع اللغة العربية بمختلف علومها، كما تحاول الدراسة أن توضح أن عملية البحث توقفت عند بدايتها دون الاستزادة فيها أو حتى تطويرها.

4. دراسة بلاسي، محمد السيد علي، (2015م):

بعنوان: ((مناهج البحث اللغوي))، منشورة في مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 44 (1)، 7 – 40، عرضت الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، مع بيان العلاقة بين المنهجين، والنتائج التي تؤدي إليها المقارنة اللغوية. وتحدّثت الدراسة في المنهج المعياري وأشارت إلى أنه ليس منهجَ بحثٍ بقدر ما هو منهجٌ تعليميٌّ تقليدي. واخْتُتِمَتْ الدراسة بعددٍ من النتائج التي توصلت إليها، منها: أنّ طريقة الملاحظة المباشرة هي من أقدم الطرائق التي استخدمها الباحثون في علم اللغة. وأنَّ المنهج المقارن من أهم المناهج التي يستعان بها في تصحيح نسبة بعض الكلمات إلى لغتها الأصلية. وأن الدراسة اللغوية المقارنة لم تكن وليدة العصر الحديث، وإنما تعود جذورها، ونواتها الأولى إلى تراثنا العربي القديم.

5. دراسة شمس الدين، إسراء عامر (2015):

بعنوان: ((قراءة في كتب مناهج البحث اللغوي الحديث))، نشرت في مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد. ع(215)، 17 – 24.

استهدفت الدراسة استقراء كتب مناهج البحث اللغوي الحديث، ووقفت الدراسة أمام بعض آراء علماء اللغة المحدثين، في ست قضايا لغوية، تتلخص في الآتي:

دافع البحث اللغوي لدى العرب. 2) عناية العرب بالدراسة الصوتية. 3) تأثر العرب بالفكر الفلسفي. 4) جوانب التقصير عند العرب في عدم تأرختهم اللغة. 5) نقد إعمال العرب الافتراض والتأويل. 6) وقوعهم بمآخذ الطريقة المباشرة.

6. دراسة بودية، محمد (2013م):

دراسة منشورة في حوليات المخبر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب واللغات ، مخبر اللسانيات واللغة العربية، ع (1)، 173 – 190، بعنوان: ((مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان قراءة في كتابي مناهج البحث في اللغة، واللغة العربية معناها ومبناها)). وتسعى هذه الدراسة إلى شرح النموذج اللساني الذي اقترحه الباحث اللغوي "تمام حسان"، والذي بدأ الكلام عنه في كتابه "مناهج البحث في اللغة"، ثم فصله في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها". وتتحدد معالم هذا النموذج من خلال وصف تحليل النظام اللغوي العربي، وبيان مكونات هذا النظام وجزئياته الدقيقة. ذلك أن كل نظام لغوي يتكون من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، ولابد من الكشف عن خصائص هذه الأنظمة والعلاقات التي تبنيها وتربطها فيما بينها، حتى يتم معرفة طريقة عمل النظام اللغوي ككل، وتأديته لوظيفته التواصلية التبليغية.

7. دراسة الدلفي، علي حسن (2012م):

دراسة منشورة في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 4 (9)، 115 - 162، بعنوان: ((مناهج البحث اللغوي الحديث وأثرها في تطور الحركة المعجمية - دراسة تطبيقية)).

وتناولت الدراسة الوحدة المعجمية وعلاقتها بالمعنى والدلالة، مستعرضًا نقد علماء اللغة المحدثين لبعض المواد المعجمية عند القدامى، وأسهبت الرسالة في بيان اقتراحات الباحثين في مجال تحديث معالجة المداخل المعجمية في المعجمات اللغوية. وفي ختام الدراسة دعا الباحث المتخصصين في علوم العربية إلى دراسة المعجم اللغوي، دراسةً تطبيقية شاملة في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديثة.

8. دراسة ياقوت، محمود سليمان، (2011م)،

نشرتها دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، وتكونت الدراسة من (311) صفحة، تحت عنوان: ((مناهج البحث اللغوي))، تناولت الجهود المبذولة قديمًا في مجال البحث اللغوي وتتبعها تاريخيًّا وموضوعيًّا؛ للوقوف على أبرز المراحل، التي شكلت تاريخًا لدى العرب وغيرهم من الهنود القدامى، بالإشارة إلى الطبيعة وماهية منهج البحث اللغوي في ذلك الوقت من خلال تناول مجموعة الموضوعات الأساسية في دراسة اللغة بالإضافة إلى التفكير اللغوي عند غير العرب كالهنود واليونان والرومان والسريان و أهم معارف العرب في العصر الجاهلي، مع بيان مكانة اللغة في هذا العصر والوقوف على العلاقة بين المنهج و التفكير العلمي، إضافة إلى استعراض أهم السمات الأساسية للتفكير العلمي مع التطبيق في علم اللغة. ثم تناولت الدراسة نشأة الدراسات اللغوية عند العرب، وتحدثت في علم اللغة التحويلي، ودوره في دراسة اللغة، والمنهج المقارن، والمنهج التاريخي، وأهميتهما في الدرس اللغوي، وتحديد خصائص اللغات، ثم استعرضت الدراسة أهم الوصايا التي يحتاج إليها الواصف النحوي للغة، بالإشارة إلى مصطلحات التحليل اللغوي ومستوياته.

9. دراسة نابي، نسيمة، (2011م):

رسالة ماجستير، (غير منشورة)، أعدّتْ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة مولود معمري تيزي وزو. و تكونت من (151) صفحة، تحت عنوان: ((مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية)). استهدفت الدراسة التعرف إلى مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، وسعت الدراسة إلى الكشف عن أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية. وتناولت مفهوم اللسانيات، والنظريات اللسانية (مناهجها وطرائقها)، وتطرقت إلى آراء بعض اللغويين القدامى في مناهج البحث اللغوي بناء على ما توصل إليه علماء اللغة في العصر الحديث. ثم تناولت الدراسة مناهج البحث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللغوية الغربية، والعلاقة بينهما، واستدلت من خلال دراسة تلك العلاقة على وجود قواعد مشتركة لكل اللغات، تؤكد أنّ الروافد اللغوية تختلف باختلاف خصائص اللغة. وتوصلت الدراسة إلى أنّ المناهج اللغوية تُمثّل معرفة بشرية صالحة لكل اللغات في كل زمانٍ ومكان، وأن النظريات اللسانية قد اعتمدت في الأخذ من مناهج أخرى، وأجرت عليها تطبيقاتها، وأنَّ هناك إمكانية لوجود تكامل أو تصادم للمناهج اللغوية بالنظريات اللسانية.

وبتأملِ الدراسات السابقة في مجموعها نجد أنها جاءت بالاستقراء والعرض لمناهج البحث اللغوي، وما يتعلق بها؛ فاهتمت بالتعريف بها، وتاريخ نشوئها، ووصف خصائصها، وتحديد أهدافها وإجراءاتها. كما تناولت تلك الدراسات بعض القضايا المتعلقة بمناهج البحث اللغوي، مثل: مجالات بحثها، واستعمالاتها، وارتباطها وعلاقات بعضها ببعض، وغير ذلك مما يتعلق بماهية تلك المناهج ودورها في تعليم اللغة وتعلّمها.

وبذلك تميّز هذا البحث عن تلك الدراسات؛ بتناوله موضوع مناهج البحث اللغوي، لا على سبيل الاستقراء والعرض، والتقرير، وإنّما بتحليل أثرها في النظام اللغوي للغات بكل عناصره وتفاصيله المتعددة، وعلاقاتها المنتظمة في تأصيل أسس الدرس اللغوي، و طرائق تعليم اللغة وتعلمها.

2. منهجية البحث

اعتمدت في منهجية إعداد هذا البحث على الآتي المنهج الاستقرائي: لجمع المادة العلمية، والوقوف على كلام علماء اللغة في مناهج البحث اللغوي، وسماتها، وخصائصها، واستشهدت بمقالاتهم في عرض تلك المناهج، وتاريخها، وعلاقة بعضها ببعض، والمجالات اللغوية التي اختص بها كل منهجٍ عن الآخر، أو اجتمع فيها مع غيره من المناهج الأخرى. وغير ذلك مما يقتضيه الحديث عن مناهج البحث اللغوي.

المنهج الوصفي: وهو ما ينتج عن الاستقراء؛ بوصف مناهج البحث اللغوي وصفًا علميًّا، كما قررها علماء اللغة. المنهج التحليلي: قدمت به تحليلًا لمناهج البحث اللغوي، وأثرها في اللغة وتعلمها، وأثرها في دراسة العلماء لنظام اللغات وانتمائها إلى أُسَر لغوية، وفروع متعددة للأسرة اللغوية الواحدة.

وتوصل البحث في درسه لهذا الموضوع إلى نتائج متعددة، أهمها:

أنّ مناهج البحث اللغوي مثلت إضاءة مهمة في دارسة اللغات واللهجات. أبرزت مناهج البحث اللغوي أهمية دراسة اللغة كنظام شامل متكامل، وليس مجموعة من الظواهر المنفصلة. أنّ المنهج التاريخي يتتبع الظاهرة اللغوية ويقف على سرّ تطور نظام اللغات وقوانينه المختلفة. أنّ المنهج المقارن يُسهم في دراسة العلاقات التاريخية بين اللغات؛ ليتجلى من خلاله نظام اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة. أنّ المنهج التوليدي التحويلي يهتم بالجانب التحليلي والتفسيري بوصفه يجلي قدرة الإنسان على إنتاج عدد غير متناه من الجمل في نظام كل لغة. أنّ النتائج التي يتوصل إليها الباحث بتوظيف المنهج التقابلي يتم استثمارها في مجال اللسانيات التطبيقية، وبالتحديد في مجال تعليم اللغات للناطقين بغيرها.

3. نتائج البحث

٣.١. المنهج لغةً واصطلاحًا

٣.١.١. المنهج لغةً

والمنهج والمنهاج: المنهج كالمنهاج يستدلّ عليهما في معاجمنا العربية من مادة (ن . هـ . ج)، التي تعني المسلك الواضح، والطريق الواسع، المستقيم، البين. جاء في أساس البلاغة: (النون والهاء والجيم) بمعنى: النهج، والمنهج والمنهاج، ويُقال: نهجت الطريق، أي: وضحته، وبينته، واستبنته. (الزمخشري، ت.538هـ، 1982، ص474). وقال الفراهيدي: (ت.175هـ، 1957، 3/392): ((طريق نهج: واسعٌ واضحٌ، ... ونَهَجَ الأمرُ ... أي: وضح؛ ومِنْهَجُ الطريق: وَضَحُه، والمنهاج : الطريق الواضح)) ومثله ذكر الجوهري: (ت. 383هـ، 1987، 1/ 171). أنَّ النَّهجُ هو: الطريق الواضح، ويُقال: المنْهج والمِنهاج، ويقولون: أنْهَجَ الطريق، أي صار، نَهْجًا بيّنًا، واضحًا.

وجعل ابن سيدة (ت. 485هـ)، (2000، 4/ 171). المنهج والمنهاج مصطلحًا واحدًا فقال: ((وَمنهَجُ الطريق: وُضُحُه؛ والمِنهَاجُ، كالمنهجِ)).

وفي لسان العرب: فلان مَنْهَجُ الطّريقِ، أي: وضَحُه. والمنهاج كالمَنْهَجِ، (ابن منظور، ت.711هـ 1988، 14/300).

وفي المعجم الوسيط: ((نهج الطريق، نهجًا أو نُهوجًا: وضح واستبان ... (انتهج) الطريق: استبانه، وسلكه. و(استنهج) الطريق: صار نهجًا... والمنهاج الطريق الواضح)) (مصطفى، وآخرون، 1972، 2/957)، وفي التنزيل العزيز: (لكلٍ جعلنا منكم شِرعَةً ومنهاجًا) (سورة المائدة، 48).

وبذلك ورد لفظ (المنهج والمنهاج) في معاجم اللغة العربية بدلالة لغوية واحدة، تكاد تندرج في باب الترادف، ((إلا أن الفيصل بينهما يرجع إلى استعمالاتها في الدراسات الأكاديمية الحديثة التي توضح خصائص كل واحد منهما وبمقابلتهما بالمصطلحات الأجنبية يتضح الفرق)) (مهدي، 2021، ص8).

٣.١.٢. المنهج اصطلاحًا

من المعاني اللغوية للمنهج، جاء المعنى الاصطلاحي للمنهج، بمعنى: ((الطريق الواضحة التي يسلكها الدارسون في دراساتهم)) (يعقوب، 2016، ص9)، فلكلِّ علمٍ منهجٌ ومناهج، بل لكل موضوعٍ من موضوعات تلك العلوم، منهجٌ ومناهج، تقوم على أسس، أبرزها الموضوعية، والشمولية. (مداني، 2021، ص93).

ويعرّفه (مهدي، 2021، ص9). بأنه الطريقة التي تختص بكل علم على حده و((يعني الأسلوب، أو الكيفية، أو الوسيلة المحددة التي تتأسس على مجموعة قواعد عامة يتم وضعها ويتبعها الباحث))؛ (مهدي، 2021، ص9). لمعالجة موضوع بحثه؛ للوصول إلى الغاية المنشودة من البحث، والحصول على النتائج المرجوة من الدراسة.

وعرفه عبد الرحمن بدوي: ((الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة)). (1977، ص5).

وبمعنى أشمل، وأدق فإنَّ المنهج: هو الطريقة التي يتخذها الباحث، ويسير عليها بأسلوب علميٍّ في دراسة المشكلة؛ للوصول إلى الغاية من بحثه ودراسته (عابدين، 2001، ص44). فهو ((السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد، أو العملية الإجرائية المتبعة للحصول على شيءٍ ما، أو موضوعٍ ما)) (شاكر، 2009، ص92).

أما المنهجية فهي: علم المنهج أو علم المناهج، أي العلم الباحث في المناهج، والطرائق المستعملة في العلوم للوصول إلى الحقائق. (مهدي، 2021، ص 10).

ويعرفها (الطاهر، 1970، ص21- 22)، بأنها: ((مجموعة الإجراءات والأليات المتعارف عليها بين العلماء، والتي يمكن استخدامها للملاحظة والكشف والتحقيق في اكتساب المعرفة والوصول إلى الحقائق)). ثم يتحدّث في الغرض الرئيس والهدف من اتخاذ المنهجية في البحث، فيقول: (الطاهر، 1970، ص21- 22). ((هو محاولة فهم الأمور والعلاقات في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان من أجل الوصول إلى النظريات والقوانين العلمية التي تحكم الكون وتسيره)).

٣.٢. مفهوم البحث اللغوي

يتكون مصطلح البحث اللغوي من كلمتين هما: البحث، واللغة، أمّا كلمة (بحث): فقد وردت في معاجم العربية بمعانٍ متعددة، هي: الطلب، والتفتيش، والسؤال، والتحري، فجاء في كتاب العين (الفراهيدي، (ت.175ه)، 1957م، ص207)، ((البحث: طلبُك الشيء في التراب، وسؤلك مُسْتَخْبَرًا، تقول: استبحثُ عنه، وأبحث))

وفي لسان العرب: (البحث): أن تطلب الشيء. أو تسأل عنه، ((وبحث عن الخبر وبحثه يبحَثُهُ بَحثًا: سأل، وكذلك اسْتَبْحَثه و استبحث عنه ... بمعنى واحد)) (ابن منظور، 1988،1/321- 322).

والبحث العلمي في الاصطلاح هو: ((عملية فكرية منظمة، يقوم بها شخص يسمّى (الباحث)، من أجل تقصي الحقائق بشأن مسألة أو مشكلة معينة باتّباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث)، بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج للتعميم على المشكلات المماثلة تسمى (نتائج البحث)). (زويلف، والطروانة، 1998، ص245).

وبهذا فإنَّ البحث العلمي يعني: التحري، والتقصي، والتنقيب، وفق منهج علمي معين؛ يتمكن البحث من خلاله من الوصول إلى نتائج، وحقائق جديدة؛ تسهم في نمو المعرفة الإنسانية (مهدي، 2021، 16).

أما الشق الثاني من التركيب (البحث اللغوي) فهو (اللغة)، التي وضع لها علماء العرب حدًا، جامعًا مانعًا، لم يزد عليه المحدثون إلا نزرًا يسيرًا، فعرفها ابن جنّي (ت. 392ه، 2003، ص67) بقوله: ((أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)). فهي أصواتٌ، ووسيلة للتعبير، تختلف من مجتمع إلى آخر. وعرفها من علماء اللغة الغربيين في العصر الحديث، العالم اللغوي الأمريكي سابير (sapir, 1961, 8)، بأنها: وسيلة اتصال إنسانية، مركبة نحويًّا، ومنتجة صوتيًّا، يتوسل بها المتحدث لإيصال الأفكار والعواطف عبر نظام من الإشارات المقصودة؛ لتبادل رسائل مفيدة بين المتكلمين. (عمر، 2010، ص18-19).

وعدّها (سوسير، 1985) نظامًا اجتماعيًّا، وعرّفها، فقال: ((نظام من الإشارات System of signe التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام، بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق

أو الطقوس الرمزية)). فهي إذن نظامٌ متكامل من الرموز الصوتية في أذهان الجماعة اللغوية، (بودية، 2013، ص،188). يتحقق من خلاله التوصيل والتواصل فيما بينهم عبر تلك الإشارات. (داود، 2001، ص44). وبذلك أصبحت اللغة ((خير ممثل لتلك الإشارات)). (سوسير، 1985، ص87).

ومن هذه المفاهيم فإنّ مناهج البحث في اللغة: هي المناهج والطرق التي سلكها علماء اللغة في دراستهم للغات، واللهجات المختلفة على وفق مبادئ، وأسس تختلف من منهج لآخر (شاكر، 2009، ص92). ((وبذلك فإن البحث اللغوي هو بحث علمي أكاديمي في مجال خاص اتخذ اللغة مادةً له)) (مهدي، 2021، ص15).

٣.٣. مناهج البحث اللغوي في التراث العربي

المتأمل في دراسات القدامى للغة، من أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت. 175هـ)، وسيبويه (ت.180هـ)، ويونس بن حبيب (ت.183هـ)، وأحمد بن فارس (ت.312هـ)، وابن جني (ت.392هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت.471هـ)، والزمخشري (ت.538هـ)، والسكاكي (ت.626هـ)، وغيرهم. يجدها تقوم على (المنهج، والمنهجية)؛ إذْ جاءت دراساتهم في مختلف مجالات الدرس اللغوي، تتسم بالتبويب، والفهرسة، والتصنيف، حتى تأليفهم للمعاجم العامة والمتخصصة، جاء مبنيًّا على أساس المنهجية في التناول؛ بالأسلوب المنهجي العلمي. (مهدي، 2021، ص47).

وبـ((نظرة ممعنة في أبحاثهم تدلّ على أنهم قد وظفوا المناهج المعتمدة اليوم في الأبحاث اللغوية، وأكثر المناهج وضوحًا في أدائهم هو المنهج الوصفي، ثم المنهج التاريخي، وقلما استعانوا بالمنهج المقارن)). (حجازي، 2003، ص123 - 125). فكانوا يركزون على مناهج دون أخرى.

لقد اتسمت بحوث علماء العربية الأوائل بالوعي الكامل ((بأنّ مناهج البحث العلمي واللغوي، هي مناهج متكاملة لا يُناقض بعضها بعضًا، فكثيرًا ما كانوا يُوظفون في العلم الواحد وفي البحث الواحد منهجين أو ثلاثة؛ إلا أن المنهج الذي نال حظًا وافرًا في أبحاثهم هو المنهج الوصفي؛ لاعتمادهم في كل أبحاثهم على اللغة المنطوقة عن طريق المشافهة والسماع)). (مهدي، 2021، ص47).

٣.٤. مناهج البحث اللغوي

اللغة قديمة قِدم المجتمع الإنساني، ولكن البحث في اللغة لم ينشأ إلا في إطار التقدم العلمي، لذا فهو أمر حديث نسبيًا بالنسبة لتاريخ الإنسان.

ولقد تعددتْ طرق ومناهج العلماء في دراسة اللغات واللهجات، حتى تتابعت هذه المناهج وصار لكلٍّ منها رواد وأتباع. وكان بعضها امتدادًا للآخر، بل بعضها يتداخل مع الآخر كما هو الحال في المنهج المقارن، والمنهج التاريخي.

ولهذا نشأت الكثير من مناهج البحث اللغوي تدرس قضايا اللغات، وتتبع ظواهرها المتعددة؛ بأسس ومبادئ علمية، تجعلها معيارًا لدراسة اللغات، ومُعينًا للتحليل اللغوي، فيختار الباحث منهجًا من تلك المناهج يتناسب مع الموضوع الذي يبحث فيه، بل ربما يتبنّى أكثر من منهج، وفقًا لطبيعة الظاهرة اللغوية، والقضية التي يدرسها. (مهدي، 2021، ص49).

وتعددت تلك المناهج وتنوعت في الدرس اللغوي على مر العصور، منها:

1- المنهج التاريخي.
2- المنهج المقارن.
3- المنهج الوصفي.
4- المنهج التوليدي التحويلي.
5- المنهج المعياري.
6- المنهج التقابلي.

المنهج التاريخي:

وهو من أبرز مناهج البحث اللغوي التي أسهمت في خدمة الدراسات اللغوية. (مداني،2021، ص94). ويبحث هذا المنهج تطوّر اللغة الواحدة عبر العصور المختلفة، فيقوم بتتبع ((أي ظاهرة لغوية في لغة ما، حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائق ونصوصًا لغوية، أي إنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون))، (عبد التواب، 1985، ص197)، فهو لا يدرس اللغة في مستويات الاستعمال، أو مستويات الدرس اللغوي، وإنما يعطي صورةً واضحةً عن تاريخ الحياة اللغوية، ويبحث في التغييرات التي

تطرأ على بعض العناصر اللغوية عبر الأزمان. (حجازي، 1978، ص24)، بذلك هو يبحث في تطور اللغات في المجتمع، من خلال البحث في تاريخها وتطورها البنيوي والمعجمي،(حجازي، 2006، ص، 40).

((فأساس العمل بالمنهج التاريخي هو تتبع الظاهرة اللغوية على فترات متعددة من الزمن بقصد التعرف على ما أصاب اللغة من تطوّر أو تغيّر في مختلف المستويات)) (مهدي، 2021، ص49).

ومجالات الدراسة لهذا المنهج كثيرة، ومتعددة، منها: دراسة التغيير الصوتي في العربية، وبحث تأصيل بعض الصيغ والأساليب، كصيغ الجموع، وأدوات الاستفهام، والشرط، والاستثناء، وغيرها، لتحديد الأصل منها من الفروع، عبر العصور التاريخية المختلفة.

وبهذا يمكن القول إنَّ وظيفة علم اللغة التاريخي أو المنهج التاريخي هي عرض جميع التغييرات اللغوية التي تحدث في لغة ما عبر عصورها المختلفة، وتتبع الظواهر اللغوية، وغيرها من الظواهر الكثيرة في مجال: دراسة الأصوات واستعمالاتها، والكلمة والجملة وبنائها، والدلالة وسياقاتها. (حجازي، 1978، ص25). و(أمجيسر، 2022، ص240). وبهذا يتكامل المنهج التاريخي مع المنهج الوصفي في انسجام، وتوافق، واتصال مثمر (عبد التواب، 1985، ص198)؛ إذْ ((لا تقوم الدراسة اللغوية التاريخية إلا بعد الفراغ من المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية)) (مهدي، 2021، ص49). فلا يستغني المنهج التاريخي عن الوصف في تتبعه لأي ظاهرةٍ لغويةٍ على مر الزمن ليسهم في وصفها وصفًا دقيقًا. (مهدي، 2021، ص50)، و(بلاسي، 2015، ص7).

٣.٥. قضايا المنهج التاريخي

وفق المنهج التاريخي حدد الدكتور (بلعيد، 2013، ص49) قضايا البحث اللغوي في الآتي:

أ. تطور اللغة الواحدة في جميع جوانبها عبر الأزمنة المتعاقبة.

ب. تطوّر اللغة وحركتها المستمرة بتغير الزمان المكان.

ت. وظيفة اللغة الاجتماعية.

ث. مستويات الاستخدام اللغوي للغات.

ج. الاستخدام اللغوي وأثره في بنية اللغة.

ح. أهمية اللغة الحضارية، ومكانتها بين اللغات.

خ. التأصيل التاريخي للظواهر اللغوية.

د. أنظمة اللغة ما يطرأ عليها من تغيرات في مستوياتها الأربعة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدّلالية، مع رصد العوامل المؤثرة في تلك التغيرات.

وبذلك أمكن القول إنَّ الفضل في ظهور علم اللغة التاريخي (اللسانيات التاريخية)، يعود للمنهج التاريخي. (مداني، 2021، ص94).

٣.٦. المنهج المقارن

ويتسم بالقِدَم الذي به ازدهر، وشاع (شاكر، 2009، ص93). ويعتمد هذا المنهج على المقارنة بين لغتين أو أكثر تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، لدراسة مواطن التشابه والاختلاف بينهما، وتحديد صلة القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة؛ ليسهم في تصنيفها إلى أسر، وفروع لغوية.

ويقوم هذا التصنيف على تفحص أوجه التشابه في المستويات اللغوية (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية) (داود، 2001، ص99). وبحث ما بينها من أواصر مشتركة، وعلاقات ارتباط.

ويرى بعض العلماء أن هذا المنهج هو امتداد للمنهج التاريخي؛ إذْ يعتمد عليه في تحديد اللغات التي تنتمي إلى أسر لغوية واحدة (حجازي، 2006، ص37).

ومن أهم سمات المنهج المقارن أنه ((يهيئ السبيل لتصنيف اللغات بحسب خصائصها، وتجميعها في عائلات، ومستوى هذه المقارنة هو الجانب الفيزيولوجي، والنحوي، والدلالي)) (شاكر، 2009، ص96). فهو يهتم بمقارنة التراكيب الخاصة بلغتين أو أكثر، من عائلة واحدة في الغالب، و((يتضمن أساسًا وضع الصيغ المبكرة المأخوذة من لغات بينها صلات ما، لإصدار الأحكام بعد الفحص والمقارنة)) (حسان، 2001، ص168).

ولهذا، فإن هذا المنهج يدرس المجالاتِ المختلفة للغة؛ للوصول ((إلى قواعد مطردة تفسر التغييرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن، فتقسمت اللغة الواحدة إلى لهجاتٍ ولغاتٍ كثيرة انقسمت بدورها إلى لغات أخرى)) (عبد التواب،1985، ص21 - 22).

وللمنهج المقارن مبادئ أساسية يستند إليها، منها:

1- تناسخ اللغة، واستعاراتها؛ إذْ تصدر اللغات عن تغييرات مختلفة تحدث في عناصرها الموجودة، ((فمن يريد أن يضع اسمًا لشيء جديد، يستعير عادةً عناصرَ الكلمة من لغته أو من لغة أجنبية وذلك كاللفظة الألمانية التي بمعنى (تليفون) فإنها مأخوذة من كلمة معناها (بعيد) وكلمة أخرى معناها (متحدث) فجمعت للدلالة على الاسم الجديد (التلفون)) (عبد التواب، 1985، ص207).

2- التقليد في الاصطلاح، وعدم الارتباط بين الاسم والمسمى، فلا توجد علاقة طبيعية بين الاسم والمسمى، (بين الاصطلاح اللغوي، وما اصطُلِح له)، ((وإنما هي علاقة تقاليد. وهذا معناه أنه ليس هناك ارتباط طبيعي بين الاسم والمسمى، فالضمائر: (أنا) و(أنت) و(هو) ليس فيها شيء يدل بذاته على أحد الأشخاص الثلاثة، وإنما تستعمل لأنه في جماعة بشرية ما، جرت التقاليد بأن تستعمل تلك الصيغ)) (عبد التواب، 1985، ص208). وهذا هو مفهوم (الاعتباطية)، التي تحدّث عنه (سوسير، 1985، ص86 - 88) في إطار علم اللغة الوصفي.

3- لا يحدث التغيير في اللغة ومفرداتها، بشكلٍ اعتباطي ومشتت، وإنما يحدث على وفق قواعد ثابتة، تُصاغ بعناية، ودقة فائقة؛ فيظهر ((هذا التغيير كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت، والصيغة، والدلالة)) (عبد التواب، 1985، ص211).

ومن خلال هذه المبادئ والأسس يُعدُّ المنهج المقارن ((فرعًا مستقلًا من أفرع البحث اللغوي)) (شاكر، 2009، ص97). لقد ساعد هذا المنهج على اكتشاف الكثير من العلاقات والقرابة بين اللغات؛ إذْ استطاع أن يكشف القرابة اللغوية بين مجموعة من اللغات وأصولها ومظاهرها المختلفة، ومنها القرابة بين اللغة السنسكريتية التي اكتشفت في الهند، وبين اللغات اليونانية واللاتينية، وكذا العلاقة بين اللغات الأوروبية واللغات الإيرانية واللغات الهندية؛ إذْ ((ثبت بهذه المقارنات أن كثيرًا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه في البنية والمعجم. وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة في الهند، وإيران، وأوروبا،

وأطلق الباحثون على هذه الأسرة، اسم أسرة اللغات الهندية، والأوروبية)) (حجازي، 1978، ص21). و(شاكر، 2009، ص93 - 94). ولذلك يذكر بعض علماء اللغة أن القرابة والعلاقة بين اللغات لم تكن معروفة حتى تم اكتشاف اللغة السنسكريتية في الهند (عمر،1997، ص333)، وبذلك فإنّ ميدان الدراسة اللغوية ومجال بحثها بهذا المنهج هو ((اللغات ذات الأصل الواحد، كالعربية والعبرية، واللغة الإندونيسية، والمالاوية، واللغة الفرنسية، والأسبانية، وغيرها)) (داود، 2001، ص55).

لذلك أسهم هذا المنهج أيضًا في ظهور البحث المقارن في اللغات السامية وازدهاره، فيما يسمى بعلم (اللغات السامية المقارن). وتبلور هذا الدور عبر النقوش التي وجدت في الاكتشافات الأثرية، التي وجدت فيها اللغات العربية، والعربية الجنوبية، والحبشية، والآرامية، والأكادية، والفينيقية. (حجازي، 2006، ص134).

لقد حقق منهج البحث اللغوي المقارن، للبحث اللغوي تقدمًا ملموسًا، وأسهم بإجراءاته في إيجاد الدّقة العلمية المنهجية في البحث (حجازي، 2006، ص127)، فتناول دراسة العناصر اللغوية منفصلةً عن نظامها اللغوي، في سياق تأثير الزمن فيها، وفي سياق علاقتها المشتركة باللغات ذات الأسرة الواحدة، أو ذات الفصيلة الواحدة. (عمر، 2010، ص31).

٣.٧. المنهج الوصفي

وسماه (عبد التواب، 1985، ص197)، (المنهج السكوني)، ويدرس اللغة الواحدة، واللهجة الواحدة في زمن محدد، وفي مكان معين. (حجازي، 2006، ص37). فيصف ظواهرها، ومظاهرها اللغوية في ومستوياتها المختلفة: (مستوى الأصوات، ومستوى المقاطع، ومستوى الأبنية، ومستوى الدلالة، ومستوى التراكيب، ومستوى الألفاظ). (بلاسي، 2015، ص12). أو يدرس بعضًا منها، وصفًا دقيقًا، واقعيًا، آنيًا، دون التدخل بالتعليل، و التفسير (عبد التواب، 1985، ص182).

لقد اهتم الباحثون - منذ زمنٍ - مبكر بهذا المنهج؛ حتى تكونت مدارس متعددة في هذا الإطار، ((تختلف في تقنيات الوصف اللغوي، ولكنها تنطلق من الأساسيات التي تكونت عند (سوسير) وعند من

جاءوا بعده)) (حجازي، 1978، ص23)، وبذلك ساد علم اللغة الوصفي في بحوث اللغة، بل أصبح يُطلَق على (علم اللغة الحديث) (علم اللغة الوصفي). (حجازي، 1978، ص 24). ومن أبرز المدارس الوصفية: المدرسة اللغوية البنيوية، ومدرسة القوالب. (عبد التواب، 1985، ص183)، ولكل مدرسةٍ منهما، خصائص، وسمات، أسهمت في مجموعها في دراسة اللغة، دراسةً وصفيةً دقيقة، بمختلف مجالات البحث الوصفي: (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية)، ولم يقتصر ذلك على دراسة هذه المستويات في اللغات فحسب، بل شمل أيضًا دراسة اللهجات القديمة و الحديثة، بوصف الدراسات الوصفية تابعة للمنهج السكوني. (عبد التواب، 1985، ص181).

وينقسم هذا المنهج على قسمين، هما: (بلاسي، 1999، ص46).

- المنهج الوصفي التقريري: ويكتفي بالوصف دون التعليل والتفسير.
- المنهج الوصفي التفسيري: ويُعنَى بتفسير الظواهر بعد وصفها وتحليلها.

وبالقسمين كليهما؛ يبحث المنهج الوصفي اللغة الواحدة، بمستوياتها المختلفة: (الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية) (حجازي، 2006، ص37).

لقد بدأت الدراسات اللغوية في اللغة العربية وصفية، ثم انتهت إلى المعيارية؛ إذ اعتمدت في بداياتها على استقراء المادة اللغوية من مصادرها الأصلية (السماع ـ المشافهة)، ثم استنبطت منها القواعد، بعد ذلك أُخذت تلك القواعد، وأُخضعت لها المادة اللغوية، فانقلب الميزان من الوصف إلى المعيار.

وبهذا يظهر الفرق بين المنهج المعياري، والمنهج الوصفي، فبالمنهج الوصفي يتم استقراء المادة اللغوية ثم استنباط القواعد، فالمادة اللغوية هي الأساس، أما في المنهج المعياري فالقاعدة هي الأساس، فيأخذ بها، ويُخضِع لها المادة اللغوية، فما خالف القاعدة عُدّ لحنًا وخطأً.

لقد أسهمت الدراسات اللغوية الوصفية في إثراء الدراسات اللغوية التاريخية؛ إذْ لا تقوم الدراسة اللغوية التاريخية إلا بعد الفراغ من المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية. (بلاسي،

2015، ص7). وما أنْ جاء القرن العشرون، إلا وقد حقق منهج البحث اللغوي الوصفي، ((نهضةً كبرى، أدت إلى كثيرٍ من التطورات المهمة، في علم اللغة المعاصر، وكان القرن التاسع عشر حاملًا بكثير من الإرهاصات لهذا العلم الحديث)) (عبد التواب، 1985، ص182).

٣.٨. المنهج التوليدي التحويلي

يُعدُّ عالم اللغة الأمريكي (هاريس) Harris، وتلميذه (تشومسكي) Chomsky أو (جومسكي) مؤسسَيْن للمنهج (التوليدي التحويلي). (أمجيسر، 2022، ص229). والحد الفاصل بين التّوليد والتّحويل، هو أنَّ التوليد: هو ذلك الاتساع الذي يجعل أي لغة تُنتج عددًا لانهائي من الجمل، وأما التحويل: فهو علم لدراسة العلاقات بين عناصر تلك الجمل. (عبد التواب، 1985، ص 188).

فالتركيب التوليدي أو (الجملة التوليدية) تكمن في الفكرة الأساسية التي توجد في ذهن الإنسان؛ فيُعبر عنها في تركيب أصلي (أولي)، مجرّدة من أي إجراءات تحويلية، ثم يأتي التركيب التحويلي الاسمي أو الفعلي في صورة محوّلة للتركيب التوليدي في البناء الخارجي أو الداخلي، وبذلك فإنّ أي إجراء تحويلي يطرأ على البنية السطحية, يجلب تحويلًا في البنية الدلالية الأصلية (الأولية)؛ لإنتاج دلالت متعددة. (زكريا, 1986م, ص14).

وبمعنى آخر فأن الدلالة الأولية تتحول إلى دلالاتٍ أخرى ثانوية تتفرّع عنها دلالاتٍ وإيحاءاتٍ متنوعة، يحددها المقام الخارجي، وهي التي أوردها البلاغيون في ميدان (علم المعاني) (الجرجاني, 1969م, ص424-425).

وخلاصة هذه النظرية أن هناك اشتراكًا بين اللغات في تركيبات أساسية، ((وأن وظيفة القواعد التحويلية في هذه النظرية تحويل تلك التراكيب الأساسية إلى تراكيب سطحية، وهي التراكيب المنطوقة فعلاً ويسمعها السامع)) (ياقوت، 1992، ص27).

وقد سمّى جومسكي نظريته بهذا الاسم؛ نتيجة لقدرة العقل الإنساني على توليد تراكيب متعددة قابلة للتحويل من حالة إلى أخرى بقوّة القدرة الإبداعية الخلّاقة عند الإنسان، التي تساعده على توليد تارة والتحويل تارة أخرى.

ومن أهم الأسس التي ترتكز عليها نظرية تشومسكي (التوليدية التحويلية) ما سُمي بـ(البنية السطحية والبنية العميقة)، فالبنية السطحية: تُمثّل الجملة كما هي في الاستعمال اللغوي التواصلي،(الكفاية اللغوية)، أما البنية العميقة فهي التي تعكس العمليات الفكرية في ذهن المتحدّث، (الأداء الكلامي). (المنصوري، 2013، ص327). و(الكفاية اللغوية) في إطار النظرية التوليدية التحويلية، هي: قدرة الإنسان على ((إنتاج عدد غير متناه من جمل لغة بيئته حتى وإن لم يسبق له سماعها)) (الراجحي، عبده، 1986، ص112). أما الأداء الكلامي: ((فهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين. وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية)) (المنصوري، ٢٠١٣، ص 327)، و(الراجحي، 1986، ص112)

وقد نشأ هذا المنهج؛ نتيجةً لرغبة الأمريكان في تبني منهجٍ عقليٍ لدراسة اللغة. ويرى رُوَّادُ هذا المنهج وجود تشابه بين اللغات على مستوى المقصود من المعاني، وهو المستوى العميق في اللغة، لذا هم يبحثون مواطن هذه التشابهات (عبد التواب، 1985، ص187).

وللمنهج التحويلي مجموعة من الأسس التي يقوم عليها، منها: (عبد التواب، 1985، ص187):

1- أنَّ التوليد يعتمد على الحدس والتخمين.
2- أن موضوع الدراسة الأساسي لهذه المدرسة قدرة المتكلم (الملَكَة اللغوية)، على إنشاء الكلام والتعبير بالجمل التي لم يسمعها من قبل، وكيف يُميّز في كلامه بين الصواب والخطأ، وإن لم يكن قد سَمِعَه من قبل.
3- الاهتمام بالقواعد النحوية ودورها في بناء الجملة، وتتبع سلاسل الكلمات التي تتشكل بها الجمل، وسلاسل الكلمات التي لا تشكل جملًا. (أمجيسر، 2022، ص229).
4- يرون أن اللغات لا ينفرد شيء منها ببنية خاصة، وإنما كل اللغات تتشابه، ولابد من كشف هذه التشابهات. أي تتشابه في الكليات (المبادئ)، وتختلف في (الوسائط)، فما يُميّز لغة من أخرى هو الوسائط، لا المبادئ، والكليات. وتجدر الإشارة هنا أنَّ إلى الجمل التي يكتنفها اللبس من الوجهة التركيبية، هي التي أدت بـ(تشيومسكي) - وهو الرجل الذي له الفضل في إظهار هذا المنهج – إلى

التأكيد بأن لهذه الجمل معنى ظاهرًا (سطحيًا)، وهو الذي يقال فعلًا، ومعنى مقصودًا (عميقًا)، وهو الذي تكون العلاقات المعنوية فيه واضحة، وأنَّ الذي ينظم العلاقة بين المعنى المقصود (العميق)، والمعنى الظاهر (السطحي) هو تلك القوانين التحويلية التي تطبق على الأولى، فتحولها إلى الثانية. (عبد التواب، 198ص190).

5- أنّ المنهج التوليدي التحويلي يعتمد على اللغة الأم، ومقدرة الفرد على التعامل بها، واستعمال الفكر في التوليد، وبذلك فهو يعتمد على البنية العميقة المتمثلة في (العقل)، والبنية السطحية المتمثلة في (الشكل). (عبد التواب، 1985، ص190).

والمقصود بالبنية العميقة، أو التركيب الأساسي، أو الباطني، عند تشومسكي: هو المعنى الكامن في نفس المتكلم بلغته الأم ومقياسه المقدرة أو الكفاية اللغوية. (المنصوري، 2013، ص327). و(الراجحي، 1986، ص112).

أما البنية السطحية أو التركيب الظاهري، فهي ما ينطقه الإنسان فعلًا. (المسدي، 1986، ص105)، ويمثلها الأداء الفعلي للكلام. (زكريا، 1986، ص26) ((وبمعنى آخر فإنها القواعد التي تضفي على كل جملة تولدها تركيبين أحدهما باطني أساسي، والآخر ظاهري سطحي، وتربط التركيبين بنظام خاص)). (ياقوت، 1992، ص37).

ويتلخص منهج التحويليين في وجود مظهرين للغة: المظهر الخارجي: (الكلام المنطوق). (أمجيسر، 2022، ص229). وله أثر صوتي يعتمد على الأداء، والمظهر الباطني: ((ويتمثل في المقدرة أو الكفاءة في الإنسان التي تجعله يستوعب القواعد أو الأسس التي ينبني عليها الكلام)). (المنصوري، 2013 ص 327). و(الراجحي، 1986، ص115).

٣.٩. المنهج المعياري

وهو المنهج الذي اعتمدت عليه الدراسات اللغوية القديمة، لاسيما عند النحويين القدامى، ويُمثّل هذا المنهج ((فرعًا من فروع المعرفة، سمي بـ(القواعد)). (سوسير، 1985، ص19)؛ إذْ بدأ العلماء في

دراسة النحو، دراسةً وصفيةً، تحولت بعد ذلك إلى المنهج المعياري، الذي يقوم على فرض القاعدة ابتداءً بالكليات، وينتهي بالجزئيات، وكل ما يخالف هذه القاعدة يحكم عليه بالشذوذ والقلة أو بالخطأ إذا لم يكن له تأويل (حسان، 2001، ص13).

وقد عرفه زوين بأنه المنهج القائم ((على فرض القاعدة، أي يبدأ بالكليات و ينتهي إلى الجزئيات. ولما كان المنهج الوصفي منهجا استقرائيا يعتمد المادة اللغوية أساسًا، لاحظنا أن المنهج المعياري يعتمد على القاعدة أساسًا وينأى عن الوصف ويتأول لما خرج عن القواعد التي يصوغها بأحكام شتى التأويلات، أو يحكم عليها بالشذوذ والقلة إن لم يجد فيها تأويلًا مناسبًا ولو كان بعيدًا أومستغربًا)) (زوين، 1986، ص23).

وبذلك يضع هذا المنهج في دراساته اللغوية مجموعة من الضوابط والقوانين، تتحكم في الاستعمال اللغوي بمستوياته المختلفة، ويكون الخروج عنها ((ضربًا من ضروب اللحن والغلط، ويكون الالتزام بها التزامًا بالمستوى الصوابي الذي يسير عليه المتكلمون باللغة المعينة)) (داود، 2001، ص63)، وبذلك يُشكّل معيارًا لا يجوز الخروج عليه في استعمال هذه اللغة أو تلك، فيلتزم المتكلم بـ((ضوابط الاستخدام اللغوي الصحيح لأبنية المفردات، وأبنية الجمل)) (حجازي، 2006، ص42)، ومن هنا يأتي الحكم على الاستعمال اللغوي، بالخطأ أو الصواب؛ إذْ تصبح المعيارية هي أوضح وسيلة لمعرفته، والوقوف عليه. (حسان، 2001، ص12).

٣.١٠. المنهج التقابلي

وهو من المناهج التي نشأت لأهداف تربوية في مجال تعليم اللغات، وذلك لدوره الفاعل في تذليل الصعوبات التي تواجه من يريد أن يتعلم لغةً ثانية إلى لغته، فيسهم هذا المنهج في تسهيل الصعوبات الناتجة عن الاختلافات الموجودة بين نظام اللغة الأم، ونظام اللغة الثانية. (حجازي، 1978، ص25). فهو يقابل بين مستويين لغويين اثنين بهدف بحث أوجه الاختلاف بينهما والتعرّف على الصعوبات الناجمة عن ذلك، فالنتائج التي يتوصل إليها الباحث بتوظيف المنهج التقابلي يتم استثمارها في مجال اللسانيات

التطبيقية، وبالتحديد في مجال تعليم اللغات للناطقين بغيرها، لذلك لابد أن يكون لدى معلمي اللغات إلمام واضح بهذا المنهج؛ لتبيين التشابه والفروق للمتعلم. (مداني،2021، ص101).

ويقوم هذا المنهج على عملية المقابلة بين لغتين أو لهجتين، فيسلط الضوء على الفروق القائمة بينهما، ويُسمي اللغة الأساسية للمتعلم، بـ(اللغة الأولى) أو (اللغة الأم)، واللغة التي اكتسبها بعد التعلّم، بـ(اللغة الثانية). (حجازي، 1978، ص25). وفي أثناء دراسة هذا المنهج لظواهر تلك اللغتين أو اللهجتين، فإنّه يرصد أوجه التقابل بينهما، من غير أن يشترط أن تكون اللغتان أو اللهجتان من أسرة لغوية واحدة كما هو الحال في دراسات المنهج اللغوي المقارن (حجازي، 1978، ص25).

وبذلك فإنَّ الاختلاف هنا بين المنهج المقارن وهذا المنهج هو أن الأول ((يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم في المقام الأول بالاستخدام الأقدم في هذه اللغات للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات)) (حجازي، 1978، ص27). أما الدراسة على وفق هذا المنهج (التقابلي) فتكون ((بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين لا بهدف التعرف على الأصل القديم ولكن بهدف التعرف على الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين))؛ (حجازي، 1978، ص27)، مثل القيام بدراسة تقابلية بين العربية والإنجليزية (أسرتين مختلفتين) أو بين العربية والعبرية (أسرة واحدة). يدرسها من جميع المجالات والمستويات اللغوية: (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية). (عمر، 2010، ص31)، التي تتشكل من الأنظمة اللغوية المتعددة للغات وتخضع لها دراسة اللغة، (بودية، 2013، ص،175). فيدرسُ كل الفروق التي تكون بين لغتين في جميع هذه المجالات، ويعتمد في ذلك على علم اللغة الوصفي، فإذا وُصِفَ المستويان اللغويان وصفًا دقيقًا، بمنهجٍ لغويٍّ واحدٍ، استطاع بعد ذلك بحثهما بالمنهج التقابلي. (حجازي، 2006، ص،41). وبذلك يساعد المنهج التقابلي على تعليم اللغات، وتذليل الصعوبات التي تحول دون ذلك.

4. الخلاصة

وفي ختام هذه الدراسة يمكن القول أنَّ تعدد مناهج البحث اللغوي على مرَّ العصور والأزمان وفر لها وظيفة بحث شاملة وتكاملية للغة؛ إذْ دُرِست من خلالها اللغات دراسةً وافيةً، في مختلف المجالات والمستويات اللغوية. فأسهمت هذه المناهج في مجموعها في إثراء دراسة أنظمة اللغات، وما يتعلق بها، بأساليب علمية منظمة، فأسهم المنهج التاريخي في دراسة تطور اللغة عبر الزمن، فكشف عن نشأتها وتطورها. وأسهم المنهج المقارن في المقارنة بين اللغات، لتتجلى علاقاتها التاريخية. وبيان مراحل وأساليب نموها وتطورها وانتشارها. وأسهم المنهج الوصفي في وصف بنية اللغة ووظائفها كما هي في الواقع، من غير أن يتدخل في تغييرها أو تطويرها. في حين أسهم المنهج التوليدي التحويلي في بناء نماذج لغوية تجريبية، تسهم في إنتاج اللغة وفهمها، ساعدت على فهم القواعد التي تتحكم في اللغة. وأسهم المنهج المعياري في دراسة الخطاب اللغوي؛ لتحديد نظام اللغة والقواعد والمعايير التي تتحكم في اللغة في سياقاتها المختلفة. وأسهم المنهج التقابلي في تحديد خصائص اللغات، وتعلّمها واكتساب مهاراتها المختلفة، فتطورت من خلاله أساليب تعليم اللغة ووفقًا لخصائصها المختلفة.

بعد هذا الغمار في بحار مناهج دراسة اللغة والبحث اللغوي، وأثرها في دراسة نظام اللغات، يمكن صياغة أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، هي على النحو الآتي:

أ. إنَّ البحث اللغوي لا يبتعد عن البحث العلمي في أهميته وأهدافه إلا من حيث أن البحث العلمي عام يصلح لكل العلوم والميادين، في حين أنَّ البحث اللغوي خاص بميدان اللغة.

ب. أبرزت مناهج البحث اللغوي أهمية دراسة اللغة كنظام متكامل، وليس كمجموعة من الظواهر المنفصلة بعضها عن بعض.

ت. لكل منهجٍ من مناهج الدراسة اللغوية حدوده، وسماته، ومزاياه، فعلى الباحث اللغوي أنْ يختار ما يتناسب مع موضع بحثه، وهدفه، منطلقًا من المستويات اللغوية المختلفة.

ث. ساعدت مناهج البحث اللغوي في تحديد العناصر الأساسية التي تتكون منها اللغة، وعلاقاتها المتبادلة التي تثمر في البناء اللغوي.

ج. هناك علاقة (تكامل) وثيقة بين مجمل المناهج اللغوية؛ إذْ مثلت مناهج البحث اللغوي إضاءة مهمة في دارسة اللغات واللهجات.

ح. يقوم المنهج التاريخي بدراسة اللغة وتتبعها في عصور مختلفة، وأماكن متعددة؛ ليرى ما أصابها من التطور، محاولاً الوقوف على سرّ هذا التطور وقوانينه المختلفة، ويتتبع المنهج التاريخي الظاهرة اللغوية في لغة ما حتى أقدم عصورها؛ إذ يعتمد المنهج التاريخي على التصنيف لا التوصيف.

خ. من مجالات المنهج المقارن، بيان العلاقات التاريخية بين اللغات التي تكون فرعًا لغويًّا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة. فيقارن هذا المنهج بين الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة.

د. يقوم المنهج المقارن على المقارنة بين لغتين أو أكثر؛ بشرط انتماء تلك اللغات إلى أسرة لغوية واحدة؛ لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين هذه اللغات موضع المقارنة.

ذ. يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة؛ أي في نواحي أصواتها، وأبنيتها، وتراكيبها، ودلالتها، فهو يعتمد على السماع، والاستقراء، والتصنيف.

ر. من الخطوات اللازمة لتنفيذ المنهج الوصفي: اختيار العينة التي سيقوم الباحث ببحثها، من خلال تحديد اللغة، وتحديد البيئة المكانية، والتحديد الزماني.

ز. القواعد التحويلية : هي القواعد التي تحول البنية العميقة للغة إلى البنية السطحية.

س. التوليد هو التحويل، وهو تلك العلاقة بين التركيب الباطني، والتركيب الظاهري، ويهتم المنهج التوليدي التحويلي بالجانب التحليلي والتفسيري بدلًا من الجانب الوصفي، فالتوليدية مرتبطة في أساسها بالجانب العقلي لإنتاج الجمل أو ما يسمى بالبنية العميقة للغة. و(الكفاية اللغوية) في إطار النظرية التوليدية التحويلية، هي: قدرة الإنسان على إنتاج عدد غير متناه من جمل لغة بيئته حتى وإن لم يسبق له سماعها.

ش. المنهج المعياري هو المنهج الذي اتبعه اللغويون والنحويون القدامى في دراسة العربية. وهو يعتمد على القياس والتعليل ويُعنى بالقاعدة العامة، ووضع الضوابط والقوانين التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة، بحيث يُعدّ الخروج عليها لحنًا أو مخالفة للأفصح.

ص. يقارن المنهج التقابلي بين لغتين، سواء أكانت اللغتان من أسرة واحدة، أم من أسرتين مختلفتين. والنتائج التي يتوصل إليها الباحث بتوظيف المنهج التقابلي يتم استثمارها في مجال اللسانيات التطبيقية، وبالتحديد في مجال تعليم اللغات للناطقين بغيرها.

قائمة المراجع:

أمجيسر، س. (2022). *مناهج البحث اللغوي، والدرس النحوي الحديث*. مجلة الجامعة العراقية. العراق: مركز البحوث والدراسات الإسلامية. 56 (2). 229 - 240.

بدوي، ع. (1977). *مناهج البحث العلمي*. ط 3. الكويت: وكالة المطبوعات.

بلاسي، م. (1999). *المدخل إلى البحث اللغوي*. د. ط. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

بلاسي، م. (2015). *مناهج البحث اللغوي* . مجلة عالم الفكر. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. 44 (1). 7 - 40.

بلعيد، ص. (2013). *في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

بودية، م. (2013). *مفهوم النظام اللغوي عند تمام حسان قراءة في كتابي مناهج البحث في اللغة، واللغة العربية معناها ومبناها*. حوليات المخبر. جامعة محمد خيضر بسكرة. كلية الآداب واللغات. مخبر اللسانيات واللغة العربية. (1). 173- 190.

جني، ع. (2003). *الخصائص*. ط 2. بيروت: منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.

الجوهري، إ. (1987). *الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية*. بيروت: دار العلم.

حجازي، م. (1978). *مدخل إلى علم اللغة*. ط2. القاهرة: دار الثقافية.

حجازي، م. (2003). *أسس علم اللغة العربية*. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

حجازي، م. (2006). *علم اللغة العربية*. ط1. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

حسان، ت. (2001). *اللغة بين المعيارية والوصفية*. د. ط . القاهرة: عالم الكتب.

داود، م. (2001). *العربية وعلم اللغة الحديث*. ط1. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

الراجحي، ع. (1986). *النحو العربي والدرس الحديث*. ط2. لبنان: بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

زكريا، م. (1986). *الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)*. ط2. بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

الزَّمَخْشَري، م. (1982). *أساس البلاغة*. ط1. تحقيق: أحمد عبد الرحيم. بيروت: دار المعرفة.

زويلف، م. والطروانة، ت. (1998). *منهجية البحث العلمي*. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.

زوين، ع. (1991). *منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث*. دار الشئون العامة.

سوسير، ف. (1985). *علم اللغة العام*. ط1. ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز. مراجعة النص العربي. الدكتور مالك يوسف المطلبي. بغداد: دار آفاق عربية. المكتبة الوطنية.

سيده، ع. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

شاكر، ع. (2009). *مناهج البحث اللغوي*. الجزائر: مجلة حوليات التراث. كلية الآداب. جامعة مستغانم. (9).

الطاهر، ج. (1970). *منهج البحث الأدبي*. العراق: مطبعة العاني.

عابدين، ع .(2001). *مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص*. ط1. بيروت: دار النهضة العربية.

عبد التواب، ر. (1985). *المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي*. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي. مطبعة المدني.

عمر، أ. (1997). *البحث اللغوي عند العرب، دراسة لقضية التأثير والتأثر*. ط7 . القاهرة: عالم الكتب .

عمر،ع . (2010). *منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة (دراسة تقابلية)*. [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. السودان: جامعة أم درمان.

الفراهيدي، خ . (1957). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

مداني، أ. (2021). *الدرس اللّغوي عند علماء اللسان العربي من منظور مناهج البحث اللغوي الحديث – دراسة مقارنة في المفاهيم والتطبيقات*. مجلة أبعاد. الجزائر: جامعة وهران (2). مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية. *8* (2). 89 – 104.

المسدي، ع. (1986). *اللسانيات من خلال النصوص*. الجزائر: الدار التونسية للنشر.

مصباح، ع. (2017). *منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

مصطفى، إ. والزيات، أ. وعبدالقادر، ح. والنجار، م. (1972). *المعجم الوسيط*. ط 2. تحقيق: مجمع اللغة العربية. بيروت: دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع.

المنصوري، أ. والصالح، أ. (2013). *النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي*. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات. 2 (29)، 323 - 344.

ابن منظور، م. (1988). *لسان العرب*. ط 3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي.

مهدي، م. (2021). *محاضرات في منهجية البحث اللغوي*. الجزائر: جامعة الإخوة منتوري. قسنطينة 1. كلية الآداب.

ياقوت، أ. س. (1992). *في علم اللغة التقابلي*. مصر: الإسكندرية: دار المعرفة.

يعقوب، أ. (2016). *كيف تكتب بحثًا أو منهجية البحث*. (د. ط). طرابلس: بيروت: جروس برس.